christianlib.com

الألم والمعاناه
فى العهد القديم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

الألم والمعاناه
فى العهد القديم

لا عرفة وقوة قيامته وشركة الامة متشبها بموته (فى ٣ : ١٠) ٠

لا تتباعد عنى لأن الضيق قريب ٠ لانه لا معين ٠

كالماء انسكبت ٠ انفصلت كل عظامى ٠ صار قلبى كالشمع ٠ قد ذاب فى وسط امعائى ٠ يبست مثل شقفة قوتى ٠ ولصق لسانى بحنكى والى تراب الموت تضعنى ٠
(مز ٢٢ : ١١ و ١٤ ـ ٢٥) ٠

لقد كانت مشكلة الألم مثارا للحيرة والقلق لدى شعب العهد القديم ، ومازالت تبدو لغزا يحير الأفهام وتتضارب فيه الأقوال بين المفكرين والفلاسفة وعلماء النفس والاجتماع فى عصرنا الحاضر ٠ ويشتد الغموض وتحار فيه العقول بصفة خاصة أذا نظر الى هذا الألم على أنه ليس نتيجة سبب معقول أو مقبول ، بل يبدو لأول وهلة أنه من آثار قدر أعمى ٠ الا انه من الواضح فى العهد القديم ان الألم كثيرا ما يجاوز الاختبار الشخصى ، وقد يحدث أن يكون هذا الالم نيابيا فالأبرار والصديقين قد تثير حياتهم النقية الطاهرة حفيظة الأشرار وعداوتهم ، وتتقمص دعوتهم الهدف الفدائى لاله اسرائيل ، فيشعرون فى غالب الأحيان أن هناك قوة لا تقهر تجذبهم بعنف الى أعماق الألم والمعاناة فيتعاطفون مع رجل الأوجاع ومختبر الحزن العتيد أن يأتى ٠ ومع أن الامهم وعباراتهم الحزينة

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المرة قد تشير للوهلة الأولى الى ظروفهم الخاصة ، الا أننا نفاجأ باتجاهها الى ظروف وأحوال أخرى لاصلة لها بواقع حياتهم · وهذا ما يدعى فى العهد الجديد بشركة الامة (فى ٣ : ١٠) ·

العَبْد المتألم

(مز ٢٢)

جرت العادة أن يطلق على هذا المزمور لقب مزمور التنهدات· ومع ان الكثير من وقائع هذا المزمور قد تمت بصلة الى حياة وخبرة صاحب المزمور ، الا أن هناك من التفاصيل ما لا يمكن أن يدخل فى هذا النطاق مثل : لانه قد أحاطت بى كلاب · جماعة من الأشرار اكتنفتنى ثقبوا يدى ورجلى · أحصى كل عظامى ، وهم ينظرون ويتفرسون فى (مز ٢٢ : ١٦ ــ ١٧) · ومن أجل هذا ، ولأسباب أخرى أعتبر صيغة نبوية وصار تطبيقه ، فى أوسع معناه على رجل الاوجاع والاحزان فى تاريخ الانبياء ، مسيا اسرائيل · وأذا أخذناه على أنه تعبير عن الالم الشخصى فى نظر المتألم نفسه ، فيظل له قيمته الأدبية الرائعة بين نصوص العهد القديم ، فهو لا يتحدث عن الالم فى صورة عامة ، ولكنه يصف الالام التى يعانيها شخص بذاته يئن وفى أنينه يعبر عن المه الشخصى · لاحظ معى مثـــار حزنه وألمـــه ·

١ ــ الوحـــدة والتغرب :

+ الهى الهى لماذا تركتنى بعيدا عن خلاصى ، عن كلام زفيرى ، الهى فى النهار أدعو فلا تستجيب · فى الليل أدعو فلا هدوء لى (مز ٢٢ : ١ و ٢) ·

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

شعوره القاطع أنه وحيد فى حزنه ـ بلا عزاء ـ يزيد من حدة معاناته ، فاحتجاب الله عنه ورفضه الجواب على صراخه وأنينه من أشد عناصر الألم وقعا وتأثيرا · وترتل الكنيسة هذا المزمور فى جمعه الالام وترددده بأنغـام الحزن والأسى حتى تعبر عن موقف الرب فى الساعة التاسعة : صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا الوى الوى لما شبقتنى الذى تفسيره الهى الهى لماذا تركتنى (مر ١٥ : ٣٤)·

٢ ـ الاحسـاس بالضعة والمذلة :

+ أما أنا فدودة لا أنسان ، عار عند البشر ومحتقر الشعب · كل الذين يروننى يسـتهزئون بى · يفغرون الشـفاة وينغضـون الرأس قائلين : اتكل على الرب فلينجـه لينقذه لانه سر به (مز ٢٢ : ٦ ـ ٨) ·

فى احسـاسه العميق بوحدته شـعر أنه منبـوذ من جميـع الناس ، مجرد دودة لا قيمة لها يمكن ان يطأها أى أحد دون ان يعيرها اى التفات ، هدفا للتندر والسخرية من كل عابر سبيل ، ويهزأون بالأولى من ثقته فى الله ، ألم تكن هذه بالنص هى التعبيرات التى وجهها اليهود للمسيح على الصليب ·

+ (قالوا) خلص آخرين واما نفسه فما يقدر أن يخلصها ، ان كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به · قد اتكل على الله فلينقـذه الان ان أراده لأنه قـال انا ابن الله (مت ٢٧ : ٤٢ ـ ٤٣) ·

٣ ـ اعلان خزيه ، والتشهير به :

+ أحاطت بى ثيران كثيرة ، أقوياء باشان اكتنفتنى · فغروا على أفواههم كأسد مفترس مزمجر ، كالماء انسكبت · انفصلت كل عظامى ، صار قلبى كالشمع · قد ذاب فى وسط امعائى ·

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى والى تراب الموت تضعنى · لانه قد أحاطت بى كلاب · جماعة من الأشرار اكتنفتنى · ثقبوا يدى ورجلى أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فى · يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون (مز ٢٢ : ١٢ ـ ١٨) ·

ان الأنسانية فى شقائها وعذابها تحاول الاستخفاء والبعد عن العيون المتطفلة ، حتى تحفظ شيئا من ماء الوجه ، وحتى تنطوى على الامها تجترها فى سكون ، وهذا لا يتاح للانسان أو الحيوان الا بالموت · ولكن هذا الانسان مطالب أن يتألم ويموت وقد سلطت عليه الأضواء أمام الشعب كله · وتصل المأساة قمتها التى لا تحتمل فى العدد ١٧ : أحصى كل عظامى ، ويشرح كيف صار نهبا للعيون التى تقتحمه بسخرية وازدراء : وهم ينظرون ويتفرسون فى ·

٤ ـ لجة الآلام وعنفها :

+ لانه احاطت بى كلاب · جماعة من الاشرار اكتنفتنى · ثقبوا يدى ورجلى (مز ٢٢ : ١٦) ·

حتى جسده لم ينج فى ساعة الضيق والشدة ، ثقبوا يديه ورجليه أو بالحرى مزقوهما ·· ومع ذلك فهذه الآلام آلام نيابية وفدائية لانها تقود الشعب مرة أخرى الى الله ، فيمتد ملكوته ، وتعلن أحكام بره وعدله ، ويعلن قضاء الله المستقيم للأجيال القادمة ·

+ اخبر بأسمك أخوتى فى وسط الجماعة اسبحك ·· تذكر وترجع الى الرب كل اقاصى الارض وتسجد قدامك كل قبائل الامم ·· يخبر عن الرب الجيل الآتى ·· يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد بأنه قد فعل (مز ٢٢ : ٢٢ ـ ٣١) ·

امام هذا المزمور ، وأمام هذه الاقوال بالذات لا يسعنا الا أن نشعر أن ربنا يسوع المسيح وحده هو النموذج الصادق لهذه

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

المعاناة الشخصية ، ولا شك أنه وجد أن هذا هو التعبير الذى يتكافأ مع آلامه ، مما جعله يستخدمها بنصها للافصاح عن مشاعره بينما كان معلقا على الصليب · والعبارة الاخيرة فى المزمور : انه قد فعل ، ربما تردد صداها فى صرخة المخلص : قد اكمل (يو ١٩ : ٣٠) مما يوحى بأن الرب كان يردد المزمور من أوله الى آخره ·

الألم والإيمان بالله

(مز ٦٩)

فى مزمور ٦٩ نجد مثالا آخر للالام التى تنسب الى داود ، ومع ذلك نلاحظ ـ كما هو الحال فى مزمور ٢٢ ـ أنها لا تمثل خبرات وحياة داود الخاصة ، ولهذا السبب تحال عباراته الى المتألم المثالى مما يجعل كلماته تتردد فى العديد من نصوص العهد الجديد مثل :

+ فتذكر تلاميذه أنه مكتوب : غيرة بيتك اكلتنى (يو ٢ : ١٧) ·

+ لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم انهم أبغضونى بلا سبب (يو ١٥ : ٢٥) ·

+ لانه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خرابا ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر (اع ١ : ٢٠) ·

+ وداود يقول تصر مائدتهم فخا وقنصا وعثرة ومجازاة لهم · لتظلم أعينهم كى لا يبصروا ولتحن ظهورهم فى كل حين (رو ١١ : ٩ ـ ١٠) ·

+ لأن المسيح أيضا لم يرض نفسه بل كما هو مكتوب تعييرات معيريك وقعت على (رو ١٥ : ٣) ·

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

ونستطيع أن نستخلص ملامح الآلام والمعاناة فى الصور الآتيـــة :

١ ـ **البرىء المظلوم** (مز ٦٩ : ١ ـ ٤) :

الصورة الشعرية هنا تصف الحزن الداخلى ، المياة والحمأة والسيل كلها تعبر عن تجربة مرة عانى فيها العقل والروح · الكراهية العامة التى صار هدفا لها لم يكن لها علة أو سبب ، أكثر من شعر رأسى الذين يبغضوننى بلاسبب · وتحت ضغط الاتهام والتعيير أضطر الى رد ما لم يأخذه أو يخطفه ·

٢ ـ **معـــاناة البـــار** (مز ٦٩ : ٦ ـ ١٢) :

بينما يشغف البار بنجاة اصدقائه من الآلام والضيقات التى يعانيها ، والتى يحتملها هـو برضى حتى يكون أمينـا لله ، الا أنه لا يغيب عن وعيه أن بره وصلاحه هما سبب سخريتهم منه ، حتى صار كالأجنبى عند أخوته ، وغريبا عنـد بنى أمه ، صـار بكاؤه وصومه سببا لان يكون فريسة للنقد الظالم ، وبالتالى عارا له فى أنظـار المحيطين به · صـار مضغة فى الأفواه يتندرون بـه فى أحاديثهم ، وفى جلسات السكر والعربدة · أصدقاؤه هجروه أما أعداؤه فقد أشاعوا وحشيتهم فى تعبيراتهم الجارحة ·

٣ ـ **حساسية مرهفة** (مز ٦٩ : ١١ ـ ٢١) :

لقد انهالت الأهانات والشـتائم عليه فأخذ الحزن بمجـامع قلبه · فى سخريتهم صـار امثولة للهزء ، وفى احتقارهم اتخذوا منه مادة التسلية فى مجالس الشراب حتى بلغ منه الخجل غورا بعيدا : العار قد كسر قلبى فمرضت · انتظرت رقة فلم تكن ، ومعزين فلم اجد (مز ٦٩ : ٢٠) ·

ولكن من خلال هذه الحال المقبض ، يرى الأيمان حصـادا رائعا (مز ٦٩ : ٣٠ ـ ٣٦) وهنا نرى التركيز على المستقبل

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

كما يراه الايمان : الحق يتعاظم ويتجلى ، وخلاص الرب يستعلن للجميع وروح العبادة تنتعش وتزدهر ، وقد يطالعنا داود فى هذه الصورة من التجارب ، كما نرى المسيح ، ولكن الواقع أن المزمور ـ ككل ـ لا يمكن تطبيقه على حياة داود تاريخيا كما أن ليس جميع آيات المزمور يمكن ان تتطابق مع آلام المخلص ولكن هذه الأشارات السابقة التى تشير الى آلام المخلص قد تجسدت حقا فى روايات الانجيل عن الصليب بحيث لا يمكنا الا أن نعترف بأن روح النبوة الذى انسكب على داود هو الذى تلقاها وهو الذى نقلها وعبر عنها ٠

أيوبُ وَحيَاة الآلام

(أى ٢٩ ر٣٠)

فى دراستنا لشخصية أيوب ، نرى صورة الالام والتجارب فى مقابل الحياة السابقة لأيوب التى ينعم فيها بالقوة والنجاح ٠ وتظل ذكريات المجد والعظمة فى أيامه الغابرة حية فى ذاكرة أيوب ٠ راحته وعزاؤه فى تدينه وفى أسرته ، والكرامة والاحترام التى كان يؤديها له الرجال النبلاء ، وأعمال البر والصلاح التى أمكنه ان يقدمها للمتألمين والمتضايقين عندما كانت وسائلها فى متناول يده ٠

وفى ضوء كل هذا ، يراجع ويتأمل شقاءه الماثل أمامه ، ويشعر بلذعات الالم والضيق وتنتابه الالام التى تنصب عليه من ثلاثة جهات :

١ ـ من الخارج (اى ٣٠ : ١ ـ ١٥) :

لقد أتته مذمته من الناس الذين كان يصادقهم ويمد لهم يد المعونة ، أناس بلا أسم ولا كرامة لم يمسكوا عن البصق أمام وجهه ، صار هدفا للخمز واللمز والاحتقار صرت اغنيتهم واصبحت لهم

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

مثلا (اى ٣٠ : ٩) ولكى تزداد آلامه مرارة أن هذه المعاملة الشائنة انهالت عليه وجرحته أيام المذلة بعد ان أقعدته علل الجسد ، وأحاطت به النوازل والكوارث · هذا الوقت الذى كان احوج ما يحتاج اليه هو الاشفاق والعزاء ·

٢ ـ **من الداخل** (اى ٣٠ : ١٦ ـ ١٨ و ٣٠) :

+ فالان انهالت نفسى على ، وأخذتنى أيام المذلة ، الليل ينخر عظامى فى وعارفى لا تهجع · بكثرة الشدة تنكر لبسى مثل جيب قميصى خرمتنى · حرش جلدى على وعظامى احترت من الحرارة فى (اى ٣٠ : ١٦ ـ ١٨ و ٣٠) ·

ان انسكاب نفسه فى داخله تعبير عن الألم الدفين فى داخله ـ اما بقية الآيات فتعبر عن آلامه الجسدية التى لم يجد معها علاج أو دواء ، فهى تقض مضجعه ، ولا تتذوق عيناه طعم النعاس الهادىء جلده وعظامه وما يسرى فيهما من آلام مبرحة كانت تثير أعصابه وضيقه وتبرمه ·

٣ ـ **من فوق** (اى ٣٠ : ١٩ ـ ٢٣) :

استطاع أيوب أن يحس بأن يد الرب فى كل ما يحدث له ، فهو الله ـ ولا أحد سواه ـ الذى : طرحنى فى الوحل فأشبهت التراب والرماد · وهو الذى يصرخ اليه فلا يستجيب ، وينفجر فى سورة ألمه وضيقه يصرخ نحو الله · تحولت الى جاف من نحوى بقدرة يدك تضطهدنى · حتى الموت داعب خيال أيوب وتمناه ، ولكنه لم يأت اليه · ومع ان الواضح ان الله قد عهد الى أيوب خدمة الالم لانه أحبه ووضع ثقته فيه ، الا أن هناك أعماق يصعب علينا أن نسبر غورها ونستجلى كوامنها ، ولكن من الصعب أن نتحاشى عقد مقارنة بين طبيعة الام أيوب وعمقها وبين آلام المخلص الصالح · والرواية التاريخية للجلجثة تحمل فى طياتها ـ فى الواقع ـ نقاطا

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

موازية صريحة وصارخة فقد وضع الرب نصب عينيه أن كل تصرفات خصومه تمت بالموافقة الالهية ٠

+ اجاب يسوع لم يكن لك على سلطان البتة لو لم تكن قد اعطيت من فوق (يو ١٩ : ١١)

ولابد لنا ان نتأمل الام المخلص فى مقابل تلك الخلفية التى جعلت من تجربة أيوب مأساة حزينة ، فقد صاغ بولس الرسول هذه المقارنة فى وصفه لعمل الرب قائلا : فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح انه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره (٢ كو ٨ : ٩) ٠

أرميا تحت الآلام

(أر١١ : ١٨-٢٣ و٢٠ : ١-١٨)

يعلن هنا ارميا النبى عن الأجر الذى فرض عليه أن يدفعه ثمنا لولائه وأخلاصه لله ولم يكن هذا الثمن سوى الالام والشدائد ٠٠ ومن هذه الزاوية نرى شركته فى الالام مع رجل الاوجاع ومختبر الحزن الذى دارت حوله النبوات ٠

ويشدد أرميا اللوم على أخوته الذين كانوا ينتمون الى بيت أبياثار الكاهن لانهم لم يكونوا أوفياء لوصية الله ، ثم يتوعدهم بالويلات بسبب انغماسهم فى عبادة الأوثان ٠٠ لقد وصلوا فى حالتهم الروحية درجة من الانحطاط جعلت الله يطلب اليه : وأنت فلاتصل لأجل هذا الشعب ، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة لانى لا أسمع فى وقت صراخهم الى من قبل بليتهم (أر ١١ : ١٤) لقد اعلن الله دينونته عليهم وبناء على أمره اشعل الكلدانيون نيرانَ الخراب والدمار ٠

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

وردا على أمانته فى الكشف عن خطاياهم وأعلان دينونة الله الصارمة ، يكتشف ارميا أن هناك مؤامرة يدبرها أخوته الكهنة من رجال عناثوت ـ ضده : ولم اعلم انهم فكروا على أفكارا قائلين لنهلك الشجرة بثمرها ونقطعه من أرض الاحياء فلا يذكر بعد أسمه (ار ١١ : ١٩) لقد كان هدفهم القضاء عليه تماما · وما كان لهم ان يرضوا بأقل من سفك دمه ·

ولكن الله خيب آمالهم وكشف للنبى الخطر الذى يتهدده ، وأدرك النبى أنه كان كخروف داجن يساق الىالذبح (ار ١١ : ١٨ ـ ١٩) فيرفع النبى شكواه الى الله ليقضى فيها ببره وعدله ، وينتقم منهم لأنه لم يكن راغبا أو مستعدا أن يأخذ على عاتقه مهمة الانتقام ، وفعلا أعلن الرب قضاءه على أهل عناثوت بالهلاك سواء كان بالسيف أو الجوع ·

+ لذلك هكذا قال رب الجنود ها أنذا أعاقبهم يموت الشبان بالسيف ويموت بنوهم وبناتهم بالجوع · ولا تكون لهم بقية لأنى اجلب شرا على اهل عثانوت سنة عقابهم (ار ١١ : ١٢ـ٢٣)

وفى الاصحاح العشرين يقع أرميا فريسة سائغة فى يدى طبقة الكهنة ، فيجلده فشحور ويجعله فى المقطرة أى يلقى به فى غياهب السجن حتى الغد ، ولكن هذا التعذيب ، والاذلال لم يمنع أرميا من أتمام رسالته وأعلان قضاء الله على فشحور بالموت وهو فى الاسر فى بابل · بل والاكثر من ذلك كل حصون وقلاع أورشليم ستندك الى الارض ، وتسلب كل كنوز ملوك يهوذا بل وثروة المدينة وكل تعبها وكل ما له قيمة وثمن يدفع الى أيدى أعدائهم · لم يكن رجل الله انتهازيا أو مغرضا بل كلمة الرب كانت فى فمه ·

+ ··**الحق اقول لكم انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض** (مت ٢٤ : ٢) ·

لم يكن الثمن الذى دفعه ارميا عن ولائه واخلاصه لحق الله

coptic-books.blogspot.com

christianlib.com

هو التعذيب الجسدى فقط ، لقد كان بالاحرى لجة من الضيق والأحباط الذى يخيم حول الخادم الأمين ٠

+ **قد اقنعتنى يارب فاقتنعت ، والححت على فغلبت ، صرت للضحك كل النهار كل واحد استهزأ بى لانى كلما تكلمت صرخت :** ظلم واغتصاب : لان كلمة الرب صارت لى للعار وللسخرية كل النهار ٠ فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه ، فكان فى قلبى كنار محرقة محصورة فى عظامى ، فملت من الأمساك ولم استطع (ار ٢٠ : ٧ ـ ٩) ٠

ويبدو أن أرميا قد جرب بالظن أن الله لم يعد يحميه ، فالله لم يكتف بالأمر بل أقنعه فاقتنع وألح عليه واضطر أرميا أن يستجيب تحت ضغط الالحاح ، ولم يجد عزاء أو سندا يعضده ، فاعتزم أن يخلد الى الصمت ، ولكن روح النبوة كانت تلتهب فى داخله ، ولم يستطع أرميا ان يكبح جماح هذه القوة الغلابة ، ولكنه فى خضوع يستسلم لله ويضع رجاءه فى أمانة الله ٠

ان التجربة التى حلت بأرميا أنما تعلن عن الالام التى ستحل بالشاهد الامين ٠ وعندما تقرأ الكنيسة لنا هذه النبوات فهى تسلط الضوء على آلام المخلص الشاهد الامين (رؤ ١ : ٥) وآلام كل الذين يحتملون الالام من أجل البر ٠

+ **طوبى للمطرودين من أجل البر ٠ لان لهم ملكوت السموات** (مت ٥ : ١٠) ٠

+ **ولكن وان تألمتم من أجل البر فطوباكم ٠ وأما خوفهم فلا تخافوه ولا تضطربوا** (ابط ٣ : ١٤) ٠

لقد صارت الام الصليب علامة مميزة ليس فقط فى حياة الرب يسوع وعمل الفداء ، بل سمة من سمات المسيحية ٠ وكما يقول الكتاب وهب لكم لا أن تؤمنوا فقط بل ان تتألوا ايضا ، وفى العالم سيكون لكم ضيق وضريبة الأيمان بالمسيح هى احتمال الآلام ٠

coptic-books.blogspot.com